طرابلس « عاصمة الثقافة العربية » : بين الآمال والخيبات :

يحدثنا التاريخ عن طرابلس كواحدة من أقدم المدن في العالم العربي الحالي ومحطة توحيدية للمسافرين في بلاد الشام، ونقطة ارتكاز للمحاربين والسلاطين. هذا يجعل من العاصمة الثانية للبنان بئراً للثقافة والإرث العربي. حاول المؤرخون توثيق المعالم والمواقع الثقافية والتاريخية للمدينة عبر العصور، لكن كل هذا العمل تم إهماله من قبل الطبقة السياسية الحالية، العاجزة وغير الفعالة، التي تفضل المحسوبية والزبائنية على حساب مصالح المدينة وسكانها.

قبل شهر واحد، في ٢٤ أيار، استضاف معرض رشيد كرامي الدولي في طرابلس عددًا كبيرًا من وزراء الثقافة والشخصيات السياسية الذين جاءوا من جميع أنحاء العالم العربي لحضور حفل منح طرابلس لقب «عاصمة الثقافة العربية». هذا الحدث قد تم أخيرًا بعد سنوات عديدة من الانتظار، حيث يعود إلى أيار ٢٠١٥ عندما قررت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو)، التابعة لجامعة الدول العربية، اختيار مدينة طرابلس اللبنانية كـ«عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٢١». ومع ذلك، بسبب الظروف الأمنية والصحية (انفجار مرفأ بيروت، جائحة فيروس كورونا)، وافقت الألكسو على طلب لبنان بتأجيل الحدث إلى عام ٢٠٢٣، ثم إلى عام ٢٠٢٤.

بدأ الحفل بكلمة المدير العام للألكسو محمد ولد أعمر، الذي ذكر بأهمية مدينة طرابلس والمكانة التي تحتلها في حضارة وثقافة العالم العربي. صرح هذا الأخير بأن "احتفالية هذا العام حطّت في جوهرة شمال لبنان، المدينة التاريخية طرابلس، أو طرابلس الشام كما كانت تُسمى". كما برر اختيار هذا اللقب لطرابلس، مؤكداً أن المدينة تضم "أكثر من ١٨٠ معلمًا أثريًا، تتنوع بين مسجد، وكنيسة، وخان، وحمام، ومدرسة، وزاوية، وسوق، وقصور ومعالم ثقافية أخرى تشكل الوجه الحضاري لطرابلس. كل هذا يجعل من احتفالية طرابلس هذا العام فرصة لإعادة اكتشافها وعرض تراثها وأعلامها".

هذا الحدث يُعد خطوة أولى مهمة نحو تسليط الضوء اللازم على مدينة طرابلس وأهميتها على المستوى الثقافي. من المؤكد أن هذه المبادرة قد سمحت لطرابلس باستعادة أنفاسها، بعد أن تم تجاهلها لفترة طويلة من قبل السلطات المحلية والسياسية. هذا الإهمال، الذي غالبًا ما يكون متعمدًا، قد حكم على معالمها ومواقعها الثقافية بالموت بصمت بينما أعين سكان المدينة، المصنفة كواحدة من أفقر المدن في حوض البحر الأبيض المتوسط، تركز على المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي تخنقهم يومًا بعد يوم.

من بين الشخصيات الحاضرة، نجد محمد مرتضى، وزير الثقافة، ورئيس الوزراء اللبناني نجيب ميقاتي. هذان الأخيران كانا يشيدان بعملهما المنجز و"حفاظهما" على التراث الثقافي لطرابلس. ومع ذلك، فإن الأمور ليست وردية بالكامل. فقد بدأت التحضيرات لهذا الحدث في وقت متأخر، وهو أحد الأسباب التي أدت إلى تأجيله للمرة الثانية، من عام ٢٠٢٣ إلى عام ٢٠٢٤. في الواقع، بدأت التحضيرات في أيار ٢٠٢٣ بعد فترة طويلة من التسويف التي أشارت إليها النخب الثقافية والجمعيات الطرابلسية. تشمل الملاحظات أيضًا نقص الوضوح في الميزانية المخصصة، بالإضافة إلى وجود هيمنة للمقربين من رئيس الوزراء (خاصة "العزميين") في صفوف لجان التنظيم.

ظاهرة النخبوية في "العاصمة الثقافية" درسها الباحث زيد الفاضل، مدير البرنامج الثقافي في مركز الخليج للأبحاث. يبرز الفاضل أهمية مشاركة جميع فئات المجتمع، من خلال توسيع البرامج لتشمل جميع أنواع الفنون، وإقامة بعض الفعاليات في الساحات والشوارع الرئيسية، لضمان زيادة حجم التفاعل معها وجذب حضور واسع من الجمهور[١]. بعبارة أخرى، كان يجب تخفيف الطابع النخبوي المغلق. يتطلب هذا الخروج إلى الفضاءات المفتوحة والتفاعل بشكل أكبر مع الناس، خاصة وأن الأحداث التي جرت كانت

محدودة من حيث المشاركة، وغالبًا ما اقتصرت على دائرة ضيقة من النخب الثقافية، بحيث يبدو أنهم يتحدثون فقط إلى أنفسهم.

بالإضافة إلى ذلك، فإن وزير الثقافة محمد مرتضى، الذي لم يعلن في خطابه عن أي برنامج أو خطة، صرح قائلاً: "إذا لم تستطع طرابلس أن تكون العاصمة السياسية للجمهورية اللبنانية، فإن وزير الثقافة، بصفته حارس الملف الثقافي في لبنان، يعلن، بإذنكم، فخامتكم (أي ميقاتي)، أن هذه المدينة هي العاصمة الأولى والدائمة للثقافة في وطننا، في تاريخها، مع ما يترتب على ذلك من آثار."

الآن و بعد أن أصبحت طرابلس رسميًا عاصمة الثقافة العربية، وأصبحت أنظار عشاق الثقافة العربية موجهة إليها، هل ستولي السلطات الثقافية والسياسية اللبنانية، ولأول مرة، أهمية خاصة لتراث طرابلس، أم أن هذه الخطابات المنمقة ستبقى مجرد حبر على ورق؟ حتى الآن، لم يتم تخصيص أي برنامج أو ميزانية لا للترويج ولا للحفاظ على ثقافة المدينة.

Sources :

[1] Tripoli, capitale de la culture arabe 2024 : une opportunité menacée par l'utilisation et la négligence - ASAS Media

-Villes - Lancement tardif de « Tripoli, capitale de la culture arabe » : De nombreux poèmes... Pas de programmes ! (almodon.com)